عندما يمس السحر أحد أفراد الأسرة

تاريخ النشر في جريدة أخبار الخليج: 23 أبريل 2017
بقلم: الدكتور زكريا خنجي

بادئ ذي بدأ، يجب أن نتطرق إلى أمرين قبل الخوض في هذا الموضوع الشائك؛ الأمر الأول هو أني لست من ذوي الاختصاص للتحدث بعمق في هذا الموضوع، فهذا الموضوع له متخصصون يمكنهم التحدث فيه بالكثير من الطلاقة والعمق، ولكن نحن – هنا – سنحاول أن نستعرض ما وجدناه من خلال بعض من تلك المراجع التي استطعنا أن تطالها أيدينا وكذلك من خلال تجربتنا الشخصية التي شاهدناها وسمعناها وتراكماتها منذ سنوات، أما الأمر الثاني هو أن الكثير من الأسر وخاصة البنات يتعرضن لمثل هذه القضايا والمشاكل، فيقف الوالدان عاجزين عن الحركة يبحثون عن حل وهم لا يعرفون كيف يتصرفون، حيث أنهم يواجهون بالكثير من الشعوذة والخرافات التي لا تمت إلى الحقيقة بشيء، لذلك وجدنا أنه لا بد من التحدث في هذا الموضوع وخاصة ونحن نتحدث عن فن إدارة الأسرة.

وربما الأمر الثالث وهو الأهم وهو الذي يمكن أن يُعد من المسلمات الإسلامية والعقلية والوجدانية وهو أن السحر والساحر كافر بكل المقاييس والأديان وهذا يمكن أن تستشفه من الآية الكريمة (102) في سورة البقرة والتي يقول فيها جل تعالى (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)، ليس ذلك فحسب وإنما

شن الإسلام حرب لا هوادة فيها على السحرة والكهنة والعرافين، وعدّ النبي صلى اللّه عليه وسلم السحر واحداً من الجرائم السبع الكبرى، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: وما هن يا رسول اللّه؟ قال: الشرك باللّه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتوليّ يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»، والموبقات هي المهلكات.

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»، رواه أبو داود والحاكم.

وتروي كتب التاريخ أن أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب أمر ولاته في شتى أنحاء الدولة الإسلامية بقتل كل ساحر وساحرة.

ومن خلال هذه المبادئ الثلاثة سنتكلم.

ما السحر ؟

تعريفات كثيرة لا حد لها، ففي كل المراجع والكتب وجدنا تعريفًا ربما يشابه التعريفات الأخرى وعادة لا تشبهها، ولكننا هنا سنحاول أن نأتي بأكثر التعريفات قربًا للفكر الذي نؤمن به.

قال ابن منظور في لسان العرب: (السحر عمل تُقُرِّب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه، كلّ ذلك الأمر كينونَة للسِّحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى، والسحر الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر. وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر – لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته – قد سحر الشيء عن وجهه، أي صرفه).

قال راجي الاسمر في كتابه السحر؛ حقيقته، أنواع والوقاية منه: (وتعود معاني السحر اللغوية إلى الخفاء واللَّطافة، وإلى الخداع والتمويه، وإلى التلهية، والتعليل وإلى الصرف والاستمالة، ومن هذه المعاني اللغوية عرف السحر في الاصطلاح).

وقد عرفه الشافعية في مغني المحتاج للعلامة الشربيني الخطيب فقالوا: (السحر: مزاولة النفوس الخبيثة لأقوال وأفعال ينشأ عنها أمور خارقة للعادة).

أما الحنابلة فقالوا في كشاف القناع للفقيه البهوتي: (السحر: عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له).

قال الحافظ بن حجر في إرشاد الساري: السحر: هو صرف الشيء عن وجهه، ثم يستشهد بالقسطلاني الذي قال: أمر خارق للعادة، صادر عن نفس شريرة لا تتعذر معارضته، وهو بتأثيره نوع من الأمراض، ويستشهد بالقرطبي الذي قال: الحق أن لبعض أصناف السحر تأثيرًا في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم.

أما ابن خلدون فقد قال في مقدمته: (هو علم بكيفية الاستعدادات تقتدر النفوس البشرية به على التأثير في عالم العناصر، إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات).

ويقول صاحب منتدى «الرقية الشرعية على منهج أهل السنة والجماعة»: (السحر الحقيقي: عبارة عن رقى وطلاسم وتعاويذ يعظم فيها غير اللّه وغالبًا ما تكون كفرية، يستفاد منها في حصول ملكة نفسية، يقوم بها شخص بذاته يكتسبها بالتعلم وتتوافر فيه صفات خاصة معينة، ويتم كل ذلك تحت ظروف غير مألوفة وبطرق خفية دقيقة، وتصدر هذه الأفعال من نفوس شريرة تتقرب إلى

الشيطان لتحصيل ما لا يقدر عليه الإنسان، وتؤثر تأثيرًا مباشرًا في عالم العناصر، فيحدث من خلالها تأثيرًا في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم والموت ويحصل ذلك على فرد أو مجموعة أفراد رغم إرادتهم لتحقيق هدف معين).

وقبل الاسترسال في موضوع التعريفات أو حتى استخلاص تعريف موحد لكل هذه التعريفات، يمكن أن استرشد بحادث حصل لي ذات مرة حول نفس هذا الموضوع فيما يتعلق أن السحر تعظيم لغير اللّه والشرك به، فذات مرة كنا في بلد عربي في ندوة من الندوات المتعلقة بالبيئة، وقبيل الانتهاء من الندوة رتب لنا الأخوة المسؤولون في تلك البلاد جولة في ربوع تلك البلاد، ومن تلك المعالم السياحية قمنا بزيارة قلعة من تلك القلاع الأثرية في مدينة قريبة، وتصادف أن مرشدنا كان «ساحرا» ونحن لم نكن نعلم بذلك وحتى الأخوة المسؤولين لم يكونوا يعلمون بذلك، ولا أتذكر حاليًا كيف وصل بنا الأمر أن نتحدث عن السحر والسحرة وعلاقتهما بتلك القلعة، ومن فضول بعض الأفراد الموجودين في المجموعة سأل بعضهم عن كيفية تعلم السحر، فأخذ هذا الساحر يستطرد في هذا الموضوع، إذ قال – وأرجو أن لا تخونني الذاكرة – أنه يجب أن يختلي بنفسه في غرفة مظلمة أربعين يومًا ينادي ويناجي الشياطين أو الجن – حسب تعبيره هو – حتى تظهر له بشرط أن لا يمس الماء خلال هذه الفترة، وأن يكفر – طبعًا لم يقل يكفر وإنما قال أن يطيع الجن – ويتعهد بطاعتها بكل صغيرة وكبيرة، وأمور كثيرة تتعلق بالحيوانات والنجاسة والأعمال التي يجب أن يقوم بها إلا أنه لم يتطرق إلى موضوع علاقة الساحر باللّه سبحانه وتعالى لا عن قريب ولا عن بعيد، طبعًا عليكم تصور شعور معظمنا – وأنا منهم – ونحن نسمع هذا الكلام، ولم يفرج عن أنفسنا حتى خرجنا من تلك القلعة وكأننا نفر من حيوانات مفترسة.

لنواصل ما كنا نتحدث فيه.

يحاول الدكتور عبدالسلام السكري المدرس بكلية الشريعة والقانون بدمنهور في كتابه «السحر بين الحقيقة والوهم في التصور الإسلامي» أن يستقرأ ما قاله العلماء في تعريفهم، فقال: أنهم لا يخرجون عن اتجاهات ثلاثة، وهي:

الأول: أن السحر خارق للعادة ويكتسب بالتعلم والتعليم.

الثاني: أن السحر يشبه الخارق للعادة وليس بخارق لها على وجه الحقيقة.

الثالث: أن السحر عبارة عن حيل وتخاييل وتمويهات وخداع.

ويواصل ويقول: وهنا يتضح لنا أن من قال أن السحر كله خيالات فهو على غير صواب، ومن قال أنه سحر حقيقي بمعاونة الشياطين أو غيرهم مطلقًا فهو أيضًا على غير صواب، وإذن يكون الصواب أن بعضه سحر حقيقي وهو الذي تعتريه جميع الأحكام الشرعية الخاصة بالسحر، وبعضه الآخر شعوذة وهي ما نسميه مجازًا بالسحر وهي خدع وتمويهات لا حقيقة لها في الواقع ولا تعود بالضرر إلا على مستخدمها نفسه في بعض الأحيان كالحاوي الذي يستخدم في حيله وخداعه مواد كيمائية وهو جاهل بمؤثراتها واستخدامها العلمي لأنه ربما وقع في خطأ في الاستعمال نتج عنه ضرره، لأن مادة الكيمياء تلعب دورًا كبيرًا وخطيرًا ومفيدًا في نفس الوقت في كثير من أوجه النشاط الإنساني).

وقبل أن نختم يمكن أن نقول أن مصطلح «السحر»، كلمة قليلة الحروف لغويًا، لكنّها – على ما يبدو – قويّة النفوذ والتأثير، ينطق بها البعض في خوف ورُعب ورعدة، ويلجأ إليها البعض الآخر في إقبال ورغبة، يعترف بها البعض ويُنكرها الآخرون مُصرّين على كونها ليست إلاّ زيفًا وخداعًا يضلّل به البعض عقول البسطاء، يُلوّنها البعض ويصبغها بألوان عديدة حسب قبوله لها أو نفوره منها، وما بين مُصدّق وناكر،

رُبّما يكون من الأفضل لنا جميعًا أن نتوقّف هنيّة لنرى ونسمع ونتعلّم عن هذا الموضوع الهام.

وما زال للحديث بقية،،